الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة بين التّنوع ورهانات الوحدة الوطنيّة

Algerian Cultural Identity between Diversity and Aspirations of National Unity

أ. شايب الدراع وليد[1]*

د. نجيب بخوش[2]

تاريخ الاستلام: 2021.04.12 تاريخ القبـول: 2021.06.18

ملخّص: حاولنا في هذه الدّراسة التّطرق إلى الهويّة الثقافيّة الجزائريّة والتّعرف على مختلف أبعادها المتنوعة، فالهوية الجزائرية -كما هو معلوم-هوية ثرية تتزاحم داخلها هويات متعددة، هذا الثراء يشمل جوانب عديدة مثل الجانب اللّغوي والعرقي والثّقافي، كلها مقومات تجعل الهويّة الثقافيّة الجزائريّة هويّة جامعة لسمات مختلفة قد يقدر البعض أنها تطرح مشاكل، وتفرض تحديًا أمام رهانات الوحدة الوطنيّة. هذا الاعتقاد ينطلق من فكرة خاطئة تفترض أن الهوية مختزلة في بعد واحد، لكننا ومن خلال هذه الورقة البحثية نسعى لتأكيد مسألة التنوع والتعدد الثقافي واللغوي والإثني، وبأنّها عناصر قوة للثقافة الجزائرية، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي نرى أنها الطريق لتحقيق وحدة وطنية في إطار التنوع، أهمها ضرورة عدم ترك مسائل الهويّة الثقافيّة كأداة في يد السياسيّين، وكذا العمل على ترسيخ قيم المواطنة والتّعايش من خلال وسائل عديدة أهمها المناهج التّعليميّة.

كلمات مفتاحية: الهويّة؛ الهويّة الثقافية؛ الهويّة الجزائريّة؛ التّنوع الثّقافي؛ الوحدة الوطنيّة.

Abstract: In this study, we tried to address the issue of Algerian cultural identity and identify its various dimensions. The Algerian identity as it is known is a rich and multiple identity within which multiple identities are competing. This richness includes many aspects such as linguistic, ethnic and cultural aspects all of which make the Algerian cultural identity as a universal identity of different attributes. In this regard, some may consider that it poses problems in integration and challenges the aspirations of national unity and this belief is certainly based on an incorrect idea in which identity is seen as reduced in one dimension. However, through this paper, we seek to emphasize that the issue of diversity and cultural, linguistic and ethnic multiplicity is a powerful element of the Algerian cultural identity, as a result, we have found that the issues of cultural identity must not be left as a tool in the hands of politicians, in addition to the importance of establishing values of citizenship and coexistence through several means mainly the educational curricula.

Keywords: identity; Cultural identity; Algerian identity; cultural diversity; national unity.

* - مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: walid.chaibedrra@univ-biskra.dz (المؤلف المرسل)

2- جامعة محمد خيضر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: n.bekhouche@univ-biskra.dz

1. **مقدّمة:** اهتمت الدراسات الاجتماعية والسياسية والفلسفية منذ عقود بتحليل ظواهر اجتماعية من قبيل مسألة الهوية الثقافية، حيث سعت للكشف عن الانتماءات والعوامل التي تجعل مجموعة أفراد يكونون مع صيرورة الزمن وتراكم المشتركات الثقافية والدينية والعرقية والجغرافية مايمكن أن نطلق عليه "هوية ثقافية" ترسم حدودًا ثقافية تميز هذه المجموعة من البشر عن مجموعة أخرى، ومع تطور الحياة الحديثة وتجاوز مرحلة الجماعات الصغيرة وجدت هذه الجماعات نفسها تعيش مع جماعات مختلفة عنها من الناحية الثقافية أو جماعات أخرى وافدة نتيجة هجرات من مناطق أخرى مختلفة ثقافيا، هذا الاختلاط خلق لنا مفهوم التنوع الثقافي، والهوية الثقافية متعددة الأبعاد، وهو ما طرح أسئلة جدية حول تأثير هذا التنوع على الوحدة الوطنية والاستقرار المجتمعي.

في الجزائر وعلى غرار دول المنطقة المغاربية التي تتميز بالتنوع الثقافي الكبير والهوية المتعددة العناصر والمقومات، مما يجعل موضوع الهوية الثقافية والتنوع الثقافي موضوعًا متجدد الطرح في الساحة الثقافية، بل تعدى الأمر الساحة الثقافية ليصل إلى ساحة النقاش السياسي، حيث أصبحت قضايا الهوية الثقافية عامل تجاذب يتم توظيفها لخدمة الصراعات السياسية، وهو ما يشكل خطرًا على الأمن المجتمعي والتناغم الثقافي بين مختلف مكونات المجتمع، ومن هنا تكتسي دراسة التنوع الثقافي وانعكاساته على الهوية الثقافية الجزائرية أهمية كبيرة ولهذا نسعى من خلال هذه الدراسة التعرف على مفهوم الهوية الثقافية الجزائرية وأبعادها؟ وماهي معوقاتها وإشكالاتها؟ وماهي السبل الواجب إتباعها لتكريس رهان الوحدة الوطنية في إطار التنوع الثقافي والهوياتي؟

2.مفاهيم الدراسة:

1.2 الهوية الثقافية: قبل التطرق إلى مفهوم "الهوية الثقافية" لابد أن نعرج أولا على مفهوم "الهوية" والتي يقصد بها "الكيفية التي يعرف الناس بها ذواتهم وأمتهم، وتتخذ اللغة والثقافة والدين أشكالا لها، كما يشير في هذا الصدد أحمد زكي بدوي، إلى أن الهوية هي التي تميز الفرد نفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية أما الهوية الثقافية فهي ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة في توجيهها وضبطها؛ أي التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي"(تونسي، حران، بوخلخال، 2018).يمكن أن نعرف الهوية الثقافية والحضارية بأنها، "القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشّخصيّة الوطنيّة أو القوميّة طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى"(مزارة، 2017).وقد عرفها "أحمد بن نعمان" بأنها "مجموع الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من أفراد الأمم" كما تعرف بأنها مجموعة الخصائص والمميزات العقائدية واللّغوية والمفاهيميّة والأخلاقيّة والثقافيّة والعرقيّة والتاريخيّة، والعادات

والتقاليد والسلوكيات التي تطبع شخصية الفرد والجماعة والأمة بطابع معين ينفرد به عن باقي الأمم حيث تشكل مرجعيته المعبرة عن ثقافته ودينه وحضارته".(هاشم، 2019).

2.2 الهوية الثقافية الجزائرية: وإذا رجعنا للهوية الجزائرية بشكل خاص، دائما نرجع إلى الدستور الجزائري وإقراره بأهم مكونات الهوية الوطنية الجزائرية، والتي نعمل على أساسها لتحديد أهم مقومات الهوية الثقافية التي تحكم المجتمع الجزائري. حيث تنص المادة الأولى للدستور الجزائري: "الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، وهي وحدة لا تتجزأ، وجاء في المادة الثانية: الإسلام دين الدولة، وحسب المادة الثالثة: "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وقد تضمنت المادة الرابعة: "أن تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية".(الدستور الجزائري 2016).وعليه -ومما سبق- فالهوية الجزائرية مرت عبر حقب زمنية متنوعة، "فما قدمته الحضارة العربية الإسلامية من تراث فكري حضاري راسخ لا يمكن الاستغناء عنه؛ بل دعم المعالم الأساسية للهويّة الجزائريّة في لغة عربيّة إلى الدين الإسلامي الحنيف، لكن تبقى المرحلة الأساسيّة التي أثرت على الهويّة الجزائريّة هي مرحلة الاستيطان الفرنسي".(تومي، 2017).

إن المتتبع للهوية الثقافية الجزائرية يجد أنها هوية متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، مما نتج عنه على المستوى اللغوي احتدام الصراع بين المعربين والمفرنسين، وبالتالي "فإن أزمة الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري تمتد جذورها إلى بداية الاحتلال الفرنسي، وهذا لا يعني أن المجتمع الجزائري لا يملك هوية ثقافية محددة، فعلى الرغم من التنوع الثقافي القائم في هذا المجتمع إلا أنه يسير في فلك وحدة ثقافية وطنية واحدة، ليست منغلقة ومعيقة للتحديث والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية".(حواوسة، 2017).

3.2 التنوع الثقافي: يشير مصطلح التنوع الثقافي عموما إلى "الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا التنوع عبر أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية فهي مصدر للتبادل والإبداع، ويحمل مفهوم التنوع الثقافي فكرة التعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل الوسط المجتمعي نفسه".(غزال، بورحلي، 2018) "ظهرت مسألة التنوع الثقافي لساحة النقاش العام العالمي مع تسارع وتيرة رد الفعل العنيف المضاد للتعددية الثقافية، حيث حصل تركيز مستجد على توضيح معنى «الهوية الوطنية» بهدف دمج الأقليات العرقية في الثقافات الوطنية على نحو أفضل".(رتناسي، 2013) قامت فكرة "التعددية الثقافية كمفهوم فلسفي لمواجهة نزعة الأحادية الأخلاقية، التي تفترض المساواة والتطابق الأخلاقي بين الناس، بينما تذهب التعددية إلى اعتبار أن البشر متفقون ومختلفون في آن واحد، فهم يولدون في مجتمعات تصوغهم وتشكل شخصياتهم وتطبعها بطابع خاص، كما أنهم يشتركون مع الآخرين في إعادة تشكيل الطبيعة الإنسانية المشتركة بطرق متباينة"(العتيبي، 2014)، إن التعددية الثقافية هي الرد السياسي

على واقع التنوع الثقافي. "ومفهوم التعددية الثقافية ذو معاني وتعريفات عدة، وذلك بحكم تنوع مجالات التعددية الثقافية فضلا على تعدد زوايا النظر إليها، ويمكن توزيع تعدد التعريفات على ثلاث زوايا رئيسية. ولا تنطبق التعددية الثقافية على أنواع الاختلاف المختلفة داخل المجتمع فحسب، بل تستلزم أيضا منظورات نظرية مختلفة رغم أنها متشابكة وتطرح أسئلة محددة وتسلط الضوء على الجوانب المميزة للحياة مع التنوع في المجتمعات الحالية"(غربي، 2019)

4.2 الوحدة الوطنية: تعرف الموسوعة العربية العالمية الوحدة الوطنية بأنها "تعبير قومي يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه، والذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة، كما تعرف الوحدة الوطنية بأنها "الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعا عنهما"(المغذوي، 2014) ويمكننا نحن أن نقدم مفهوم الوحدة الوطنية في سياق هذه الورقة البحثية بأنه "حالة وحدة وتكاتف بين مختلف أبناء الوطن مهما اختلفت أيدلوجياتهم وتوجهاتهم الفكرية نحو قضايا معينة يشتركون فيها في ممارسات وسلوكيات موحدة تجاه قضاياهم الوطنية أو ضد تهديدات خارجية.

3. مقومات وأبعاد الهوية الثقافية الجزائرية:

1.3 مقومات الهوية الثقافية الجزائرية:

العامل الديني: إن الدين بالنسبة لكل مجتمع هو عنصر أساسي من عناصر الهوية، بل إنه أحيانا يكون سببا في تكوين أمة مثلما حدث في باكستان، التي يعتبر الدين المقوم الأساسي لتكوينها، إنّ الدين بما يحمله من أجوبة وجودية وفلسفة حياتية ترسم للإنسان الخطوط الكبرى لحياته، وكغيره من الشعوب وللأمم التي دانت بالإسلام أثر هذا الدين على الشخصية الجزائرية وتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية للجزائري، وأصبح جزءًا من كينونته وتدخل ضمن عناصر هويتيه، "وهذا الشي أكدته النصوص التأسيسيّة للدّولة الجزائرية بداية من بيان أول نوفمبر إلى الميثاق الوطني لعام (1976)، الذي نصّ على أن الشعب الجزائري شعب مسلم، والإسلام هو دين الدولة وهو أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا التاريخية، وهذا ما يبين قدرة هذا الدين على توحيد أبناء المنطقة، فهو عامل من عوامل حب الوطن والدفاع عنه، كما جاء في الميثاق الوطني"(أوشن، 2010)، إن الدين الإسلامي أثر في قيم وعادات الجزائري، وأضاف عنصرًا مهمًا لهويته، مع العلم أن كون الأغلبية الكبرى في المجتمع الجزائري تدين بالإسلام، لا ينفي وجود أقليات أخرى من ديانات مختلفة خصوصا المسيحيّة واليهوديّة، هذه العوامل سعى الاستعمار لاستغلالها في تقسيم المجتمع الجزائري، كما جاء في "مرسوم كريميو في 24 نوفمبر (1870)، والذي منح الجنسيّة الفرنسيّة لكل الأهالي (الجزائريين) اليهود المولودين

في الجزائر"(شنوف، 2008). هذا المرسوم وغيره سعى لاستغلال التنوع الديني في الجزائر لضرب وحدة المجتمع الجزائري.

العامل اللّغوي: إذا تكلمنا عن اللغة وهي عنصر آخر مهم في الهوية الثقافية لأي أمة نجد أن خاصية التنوع اللّغوي واضحة بشكل جلي في المجتمع الجزائري، فاللّغة العربية كما "يؤكد الباحث **"عز الدين صحراوي"** امتزجت مع الذاتية الجزائرية، وكأنه يشير إلى أنّ اللّغة قد شكلت خصوصيّة الشعب الجزائري، حيث يشير صراحة إلى ذلك بقوله: ولمّا كانت اللّغة العربيّة من أبرز مقومات الشّخصية الوطنية، فإن المجتمع الجزائري بقي محافظا على عروبته ولغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمية في المدارس والإدارة، بذلك يربط الكاتب ما بين اعتماد هذه اللّغة من طرف المجتمع وما بين انتمائه العروبي"(بن نكاع، 2013)، وهذا الانتماء اللّغوي ليس الوحيد في الجزائر -كما قلنا سابقا-فالسوق اللساني في الجزائر يتوزع بين العديد من اللغات إضافة للغة العربية، هناك الأمازيغية بشتى لهجاتها واللغة الفرنسية التي ماتزال لها حظوة ومكانة في الجزائر.

العامل الاثني: إن المجتمع الجزائري مجتمع متعدد الانتماءات الجهوية والعروشية وحتى الطائفية، تشكل كل هذه الانتماءات الجزئية مجتمعة فيما بينها الانتماء الأكبر للجزائر في ظل مجتمع واحد بنظام سياسي واحد حيث أن "الجزائر لم تعرف في ماضيها ولا حاضرها أي صراعات عرقية، هذا إذا استثنينا ما حدث في منطقة القبائل في الثمانينات وبداية الألفية، والتي تعود لأسباب سياسية أو اقتصادية"(ولدخليفة، 2017)، إذن لا يذكر التاريخ لنا أي صراع واضح وعنيف بين المكونات الرئيسية المشكلة لهذا التنوع الاثني في شاوية وقبائل وطوارق وعرب وميزابيين، وهذا على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي عمل على محاولة افتعال مشاكل وصراعات لشغل هذه الفئات المكونة للمجتمع الجزائري بعضها عن بعض، إلا أنها خسرت هذه المعركة كما بينت الأحداث اللاحقة وخصوصا الثورة التحريرية التي جمعت كل مكونات المجتمع الجزائري.

2.3 أبعاد الهويّة الثقافيّة الجزائريّة:

البعد العربي الإسلامي: إن الإسلام والعروبة هما أهم ركيزتين في مسألة الهوية الجزائرية، فرغم أن منطقة شمال إفريقيا عرفت ديانات متعددة، إلاّ أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع فرض نفسه في جذور هذه الأمة، "واستطاع هذا الدين القادم من شبه الجزيرة العربية التغلغل في أعماق مجتمعات شمال إفريقيا، وهي المجتمعات المعروفة برفضها الدائم والمستمر للأجنبي، فمنذ أن دخلها العرب ووجدوها في صراع مع البيزنطيين والإفرنج أو بين سكان المدن وسكان الريف، هذه البنية ساعدت الإسلام ربما على الانتشار السريع والتمكن من قلوب وعقول أفراد المجتمع وخاصة البربر منهم"(زموري، 2016)

وبهذا نلاحظ أن الإسلام وجد في بيئة شمال إفريقيا مكانا مناسبا تماما، فرغم أن هذه المنطقة قاومت الدخول الإسلامي في بدايته، ولكنها عندما عرفت معانيه وقيمه قبلت به وتبنته وجعلته جزءا من هويتها الوطنية، هذا القبول بالإسلام فتح الباب أمام اللغة العربية، والتي ما كان لها أن تنتشر لولا أنها لغة هذا الدين، إذن فاللغة العربية دخلت الى هذه المنطقة كقيمة فرضها الدين الإسلامي ثم أصبحت مع الوقت جزءا من الهوية الثقافية الجزائرية.

البعد الأمازيغي: وتعتبر "الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر من أصول أمازيغية كما يشهد على ذلك المسار التاريخي لشمال إفريقيا ومختلف السمات السوسيو-انتربولوجية واللغوية للشعب الجزائري"(جابي، 2018)حيث كونوا خلال فترة طويلة عدة حضارات ودول كان لها باع طويل، ونالت حيزا كبيرا من تاريخ شمال إفريقيا، كما عرف الأمازيغ عدة ديانات على امتداد تاريخهم كالمسيحية، اليهودية، وحتى ديانات وثنية محلية قبل دخول الإسلام شمال إفريقيا، كل هذه المقومات جعلت البعد الأمازيغي ضاربا في عمق الهوية الجزائرية فبدونه تختل هذه الهوية.

البعد الإفريقي: يعتبر الانتماء الإفريقي للجزائر أحد أهم أبعاد الهوية الجزائرية، وأهمية البعد الإفريقي بالنسبة للجزائر مهم على كافة النواحي: السياسية، الدبلوماسية، الاقتصادية الإستراتيجية والأمنية، "فالجزائر أدركت أهمية الدائرة الإفريقية لحركتها الجيوسياسية، منذ الثورة التحريرية. أين شكلت القارة الإفريقية قاعدة خلفية لها في سياق التضامن الثوري، الذي ساد بين دولها"(قط، 2017). حتى وان كان هذا البعد أقل وضوحا في الثّقافة الجزائرية من بقية العناصر الأخرى، إلا أن هذا لا ينفي أن الجزائر هي جزء من هذا الفضاء الكبير المسمى إفريقيا، ما يجعل البعد الإفريقي حاضرا في المفهوم العام للهوية الثقافية الجزائرية.

البعد المتوسطي: يعتبر أحد الأبعاد المهمة في تشكيل الهوية الثقافية الجزائرية، من خلال الانتماء إلى منطقة حوض المتوسط، "وهي المنطقة التي كان بين شعوبها لقرون طويلة احتكاك كبير وعلاقة تأثير وتأثر خاصة إذا عرفنا أن هذه المنطقة عرفت كبرى الحضارات في التاريخ"(بوقرة، 2008)، لهذا لا يجب إهمال هذا البعد الذي يمكن البناء عليه، لجعل الثقافة الجزائرية أكثر تنوعا.

4. إشكالات وتحديات الهوية الثقافية المتعددة الأبعاد في الجزائر:

1.4 الإشكال اللّغوي:إن المشكل اللغوي في الجزائر يتميز بنوع من التعقيد والتشابك ولابد من التحلي بنوع من الهدوء والرصانة أثناء الحديث عنه كي لاننجرّ إلى متاهات إيديولوجية تجعلنا عاجزين عن فهم هذا المشكل بطريقة سليمة وواضحة، إن سبب هذا التعقيد الذي نتحدث عنه يرجع لأسباب تاريخية بالأساس تتمثل في الأجناس المختلفة التي سكنت المنطقة بداية بالأمازيغ مرورا بالرومان والعرب والأتراك وصولا للفرنسيين، وكذا بسبب الموقع الجغرافي للجزائر المنفتح على البحر المتوسط وهو أحد أكثر مناطق العالم من حيث التنوع اللّغوي، إذن فخريطة التنوع اللغوي في الجزائر واضحة

بشكل جلي، وعلى العموم يمكن القول: "أنّ الجزائر من الدول التي تعيش ظاهرة التعددية اللغوية، لغتا أم هما "العربية" بأشكالها، فصيح وعامي والأمازيغية بلهجاتها المختلفة، إضافة للغة "الفرنسية" كلغة أجنبية أولى"(بورمة، 2016) هذا التنوع بالرغم أنه من المفروض أن يكون عامل قوة للهوية الثقافية الجزائرية إلاّ أنه خلق العديد من الإشكالات وحالة من التيهان والتخبط، خصوصا في المجال التعليمي، وكذا على مستوى الإدارة الجزائرية التي بدأ مشروع تعريبها منذ عقود ولازال لم يحقق أهدافه، "ومن المشاكل اللغوية الموجودة في الجزائر على سبيل المثال والذي أضيف مؤخرا بعد أن أكد الدستور الجزائري على اللّغة الأمازيغيّة باعتبارها لغة رسمية وطنية، رغم أن هذه اللغة ما تزال تتخبط في عدة مشاكل تتعلق بالحرف والرسم؛ إذ أنها تجمع ثقافات مختلفة (الشاوية القبائلية، الميزابية، الطارقية، الشناوى بتيبازة، البوسمغونية الشلوح بالبيض). وهذا يضع الجزائر أمام تحدي كبير، إذ بأية لغة ستكتب الجزائر، وما هو دور الترجمة في كل هذا. ومن هنا وجب تحديد إستراتجية واضحة من كل هذا"(سحابة، 2019).

بالإضافة إلى ذلك نجد القضية اللغوية في الجزائر أخذت على طاولة النقاش أكثر من حقها، "مما جعل بعض الأطراف تحولها من قضية لغوية عادية قابلة للحل النهائي، كما هو شأن كثير من دول العالم التي فيها مشاكل لغوية من هذا القبيل إلى قضية إثنية وسياسية، وتحولت على إثر تلك المطالب من لغوية ثقافية إلى مطالب سياسية عرقية انفصالية عند بعضهم"(شماني، 2018).

2.4مشكل الاستغلال السياسي لمسائل الهويّة: لطالما كانت القضايا الفكرية الكبرى من قبيل قضية الهوية الثقافية إحدى محركات الصراعات السياسية في المنطقة العربية والمغاربية، والجزائر ليست استثناء حيث يحضر سؤال الهوية الثقافية الجزائرية حضورا يوميا، خصوصا في فترات التجاذب السياسي وزاد من حضوره دخول مواقع التواصل الاجتماعي كأداة أساسية لهذا الصراع. إنّ فترات التجاذب السياسي والأيديولوجي هي المناخ المناسب لممارسة التحشيد الجماهيري والذي تستخدم فيه قضايا ذات بعد عاطفي، وفي المقدمة منها قضايا الهوية.

يرى **"محمد أركون"** أن:"الإيديولوجيا تعبر عن الطريقة التي تدرك بها طبقة اجتماعية ما، أو مجموعة وطنية ما علاقتها بظروف وجودها، وهذا النمط لممارسة الفكر يسود في حالات الغليان الاجتماعي والسياسي"(سبيلا 2006) إن موضوع الاستغلال السياسي لقضايا الهوية الثقافية في الجزائر، جاء كنتيجة لسياسات ومراحل تاريخية، بداية بالحركة الوطنية التي لعبت فيها بعض الأحزاب والتيارات دورا هاما في الدفاع عن الهوية الثقافية الجزائرية، وفي نفس الوقت شهدت هذه الفترة أول ظهور لما يمكن أن نسميه الاستعمال السياسي والايديولوجي لقضايا الهوية الثقافية في الجزائر، من خلال ""الأزمة البربرية" التي حدثت بعد أن راسل الزعيم **"مصالي الحاج"** الأمم المتحدة برسالة أكد فيها على أن: الهوية الجزائرية ممثلة في بعديها، العروبة والإسلام، وهذا ما أدى بأعضاء

فدرالية فرنسا في الحركة بأغلبية 28 صوت من 32، إلى إقرار استعمال القوة ضد اللجنة المركزية ورفض أي فكرة لاعتبار الجزائر عربية إسلامية"(بوحوش، 1997).

وفي فترة ما بعد الاستقلال "فترة الأحادية الحزبية" تسبب اهتمام الدّولة الوطنية ممثلة جبهة التحرير الوطني ببعض مكونات الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة ممثلة في "العربيّة والإسلام" على حساب مكونات وأبعاد أخرى، تسبب هذا في إعطاء الشرعية لأحزاب وتيارات إيديولوجية لاستغلال هذا الإهمال في حشد تأييد شعبي وجماهيري.

3.4 المشكل الاثني والجهوي:رغم أن الجزائر لم تعرف خلال تاريخها الطويل الكثير من النزاعات ذات الطابع الاثني إلا أن هذا لايعني عدم وجود إشكالات تقف عائقًا أمام الانسجام الوطني في إطار الهويّة الثقافيّة الجزائرية ومن هذه المشاكل نجد المشكل الاثني، حيث نشأت بعد الاستقلال ونتيجة لعدم تجاوب السلطة مع بعض المطالب السياسيّة والهوياتيّة المتعلقة أساسا باللغة الأمازيغية بشتى لهجاتها، نشأت بعض التيارات التي حاولت تصوير تعنت السلطة في الاستجابة لمطالبها على أنه اظهاد لمجموعة اثنية معينة، واستهداف للغتها وعاداتها وتقاليدها ووجودها، "والحقيقة هو أنه لا يجب أن يفهم تعنت الدول العربية الحديثة تجاه الأقليات سواء كانت عربية أم غير عربية، بطريقة خاطئة فهو جاء كرد فعل على سياسات القوى الاستعمارية السابقة التي غالبا ما تلجأ إلى "فرق تسد "الشهيرة والتي كانت حريصة عليها دائما، من خلال التلاعب بمجتمعاتهم المختلفة وفقا لمصالحهم الخاصة"(بناجي، 2019).

هذا ولا يخفى على أحد "أن الحركات الحكومية وغير الحكومية الأجنبية التي تتبنى الوقوف إلى جانب الأقليات تعمل جاهدة على بتر اللغة في الجزائر بدعوى حماية الأقليات اللغوية والإثنية، وهي ذات طابع إيديولوجي خطير مهدد للوحدة على مختلف الأصعدة وعلى الصعيد اللغوي تحديدا"(شماني، 2018). يذهب الدكتور **"حامي حسان"** إلى القول إنه: "في الحالة الجزائرية كان لعناصر الهوية دور حاسم في كل أشكال التنازع والانقسامية الذي عرفها المجتمع، إضافة إلى توظيف عناصر أخرى مرتبطة بشرعيات تاريخية أو ريعية أو أمنية"(حامي، 2017).

وهذا الأمر تؤكده بعض الأحداث والنزاعات التي عرفتها الجزائر مثل أحداث منطقة القبائل سنة 2001 وأحداث غرداية سنة 2013. ولا يختلف الأمر كثيرا إذا ما تحدثنا عن مسألة الجهوية، ورغم أن "النصوص التأسيسية للجمهورية الجزائرية مثل "مؤتمر طرابلس" أشار لقضية التوازن الجهوي وتبعته في ذلك مختلف الدساتير والقوانين الوطنية، لكن نظرة سريعة على المجال الجزائري، تؤكد لنا أن الفوارق الإقليمية التي مازالت قائمة حتى أنها زادت تجدرا"(حاجي، 2018).

5. نحو وحدة هوياتية في إطار التنوع: إن الزخم الثّقافي الذي تتميز به الجزائر سواء من الناحيّة اللّغوية أم من الناحيّة الاثنية أم حتى من ناحيّة العادات والتقاليد، والذي يرى فيه الكثيرون عامل أزمة ومنبع إشكالات هوياتية بالجملة، مستدلين بوقائع تاريخية ذكرنا بعضها في المحور السابق، وكان فيها لهذا التّنوع الثقافي دور في بعض الأزمات التي شهدتها الجزائر، إلاّ أن هذه العوامل في نظرنا يمكن تحويلها إلى عامل قوة ووحدة وطنية نضمن من خلالها وحدة هوياتية في إطار التنوع، وهذا لا يكون إلا من خلال مجموعة أشياء، بداية بالتخلص من الاعتقاد السائد بأن الهوية الثقافية هي وحدة من عنصر وحيد، لا يمكن أن تتحقق إلا بتفوق وسيادة هذا العنصر على باقي العناصر.

لهذا يجب الفهم أن الهوية الثقافية أكثر تعقيدا وأن الناس ليسوا مدعوين للاصطفاف خلف عنصر هوياتي معين، كما يصور البعض بحجة أن الإسلام في خطر، أو الهوية الامازيغية في خطر، أو العروبة والعربية في خطر، وهي في الحقيقة مفاهيم بالية وبسيطة وسطحية، أبعد ما تكون عن فهم الهوية الثقافية كفضاء جامع متعدد ومنفتح، يضم مجموعة عناصر قد يكون بعضها أهم من بعض، إن البعد الإفريقي مثلا في الهوية الثقافية الجزائرية أقل أهمية من البعدين العربي الإسلامي والبعد الأمازيغي، وهذا ما يؤكده حتى ترتيب مواد الهوية في الدستور الجزائري، وهذا مرده إلى أن الانتماء اللغوي والديني أهم من الانتماء الجغرافي.

إن إعادة فتح نقاش مجتمعي حول مسائل الهوية الثقافية لا يجب أن يواجه بالرفض، لكن في نفس الوقت يجب تحديد الهدف من فتح النقاش حول ملف الهوية داخل المجتمع والدولة، بحيث يكون التناول من أجل البناء والاستقرار والنهوض، بعيدا عن الاشتباك والصراع الأيديولوجي والديني، "فالتعاطي مع قضايا الهوية باعتبارها بوابة لبناء الجسور بين مكونات المجتمع الجزائري سيوفر الجهد ويقلل من حجم التوتر والانفعال والصراعات حيث يجب اعتبار الهوية الجزائرية مضمار ذا مسافات متعددة ثقافية واجتماعية وسياسية، ومن الخطأ قصر الحديث فيها على البعد اللغوي فقط أو التاريخي، ولا بد كذلك تناولها من حيث جميع المجالات الإنسانية والمجتمعية من تراث وتاريخ وجغرافيا واقتصاد وفنون وموسيقى جزائرية داخلة في مدار الهوية ومؤثرة فيه"(بن قفة، شريف، 2017).

إن أحد أهم الأشياء التي تدعم في نظرنا هذه الوحدة المنشودة هي العمل على ترقية اللغات الوطنية ودعم اللغة العربية، والتي تعتبر اللغة الرسمية الأولى في الجزائر، "وهي لغة الكتابة والمعرفة في المدرسة وفي الإعلام وفي الإدارة، واللغة الفرنسية التي تؤدي الوظائف نفسها وبخاصة في أهم المؤسسات الاقتصادية والبنوك وتدرس في التخصصات العلمية بالجامعات والمدارس العليا، هذا إلى جانب اللغة الأمازيغية اللغة الوطنية الثانية والتي لا تزال تبحث عن طريق لها، وهي لغة التواصل اليومي في العديد من مناطق الوطن وبخاصة في منطقة القبائل هذا دون أن ننسى ما تؤديه اللهجات المحلية من وظائف في مجال التعاملات الاجتماعية"(داود، 2018) إضافة إلى هذا من المهم العمل على تثمين بعض الأعياد

والاحتفالات ذات البعد الثقافي والهوياتي، وهذا "الذي تم مؤخرا من خلال احتفال "**يناير** "الذي تم اعتماده مؤخرا من قبل السلطات الجزائرية عيدا وطنيا"(داود، 2018) إن تحويل مثل هذه الاحتفالات والأعياد من طابع جهوي محلي، يخص منطقة معينة إلى عيد وطني، هو خطوة مهمة جدا نحو خلق حالة شعور جمعي تشاركي بين مختلف أبناء الوطن، لكن مع الانتباه إلى ضرورة أن لا تبقى هذه الاحتفالات مجرد فولكلور شكلي.

جانب أخر مهم في عملية دعم الهوية الثقافية الجزائرية، وترسيخ هذا التنوع الثقافي في الوعي الجمعي، وهو الجانب المتعلق بالعملية التربوية والتعليمية، التي تلعب دورا مهما في غرس القيم الثقافية، وإبراز عناصر الهوية الثقافية الجزائرية بشتى أبعادها، ويبدو أن هذا الأمر لا يغيب عن ذهن القائمين على الشأن التربوي في الجزائر وهو ما أكدته نتائج دراسة "**الهاشمي لقوقي وسهيلة بن خيرة**" والتي أكدا من خلالها، "أن أبعاد الهوية الثقافية تبعا لتوافرها في كتب التاريخ والجغرافيا لسنة الخامسة الابتدائي كانت على الترتيب التالي: البعد الجزائري، البعد الإسلامي، البعد العربي، البعد الأمازيغي، البعد العالمي. وما يميز هذا الترتيب أن واضعي المناهج حرصوا على ملاءمة هذا الترتيب مع ما جاء في الدستور الجزائري، كما أن هذا الترتيب يعكس المرجعية الفكرية لواضعي المناهج الدراسية الخاصة بالمواد الاجتماعية"(لقوقي، بن خيرة، بن الزاهي، 2021) إضافة لكل ما ذكرناه سابقا من عناصر من شأنها تحقيق وحدة ثقافية وطنية في إطار التنوع الثقافي.

لابد من الإشارة أيضا إلى ضرورة تحييد المسائل الهوياتية عن الصراعات السياسية، وعدم ترك قضايا الهوية لعبة بيد السياسيين، لأن المسائل الهوياتية وعناصر الهوية الثقافية الجزائرية، لا يجب أن تكون أداة تجاذب سياسي، بل على العكس يجب أن تصبح المشترك الوطني الذي يلعب دورا في توحيد الجزائريين على اختلاف إيديولوجياتهم وتوجهاتهم السياسية، "فالاختلاف في الأفكار والتصورات والمواقف في الحياة اليومية أمر طبيعي وقد يساعد على تنويع الرؤى وإثراء الاقتراحات البناءة عندما يجري ذلك في جو من الاحترام المتبادل بعيدا عن التصادم والنزاع الهدام"(براهيمي، 2020).

لابد أيضا من العمل على دعم وترقية قيمة المواطنة، والتي تعرف بأنها "العلاقة التي تربط بين الفرد المواطن ودولته، كما يحددها القانون، وهي عادة محددة في الدستور، إن المواطنة هي ثقافة وممارسة يومية وأسلوب حياة"(بوفلجة، 2015) إن دعم الشعور العام بالمواطنة كإطار جامع لعناصر الهوية الثقافية الجزائرية، يقضي على كثير من الحساسيات في التعامل مع المسائل الهوياتية، ويجعل عملية إدارة التنوع والاختلاف أسهل للقائمين على الشأن العام، لأن مرد الكثير من الأزمات والصراعات التي تبدو في ظاهرها "أزمات هوية ثقافية" هي أزمات اجتماعية وسياسية متخفية في ثوب ثقافي أو هوياتي.

وعموما يمكن القول أن المبدأ الأساسي الذي يكتنف ماهية التسامح والتعايش هو الاعتراف، فلا يمكن البتة تصور موقف التسامح والتعايش بين المجتمعات أو داخل المجتمع الواحد إلا من خلال الاعتراف المتبادل، "تحدث الفيلسوف الألماني "**أكسيل هونيث**" في مدلول الاعتراف، وربطه بالمنحى العلائقي السوسيولوجي، فحين يحصل التفاعل الاجتماعي، والتلاقح الثقافي نحد بذلك من التناحر الاجتماعي وصور الازدراء والاحتقار، وهذا ما يسمح كما يؤكد **"أكسيل هونيث"** أن يحقق الفرد الأمن العاطفي ويتمظهر الاعتراف كإيتيقا كذلك من خلال التضامن الاجتماعي داخل نسيج العلاقات السوسيولوجية والثقافية. إن التعايش الثقافي يتطلب تنوعا في الرؤى والأفكار، ودون هذا التنوع الثقافي لا يمكن أن ترتقي المجتمعات أو تضمن صمام أمان لنهوضها في هذا الكون، فالإقرار بالتنوع الثقافي وكفالة حمايته صارا اليوم من مبادئ القانون الدولي، فلكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما"(بلعز، 2019)

6. **خاتمة:** في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا تلخيص مجمل ما جاء فيها بالقول، أن التفكير السائد في مسألة الهوية الثقافية بوصفها شيئا واحدا وليس تعددا، هو أحد أهم العوائق التي تواجهه الهوية الثقافية الجزائرية وتجعل من التنوع الثقافي مصدر إشكالات بدلا من أن تكون نقطة قوة، إن الهوية الثقافية الجزائرية بالمعنى الذي تكلمنا عليه في بحثنا هذا هي التراث المشترك للمجموعة الوطنية، وهي الإطار الجامع لمجموعة هويات فرعية يشكل الإسلام والعربية والأمازيغية عناصر أساسية، إضافة لعناصر أخرى، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها نذكر:

- الهوية الثقافية الجزائرية هوية متنوعة وثرية ومتعددة الأبعاد، امتزجت فيها على مر التاريخ عناصر متباينة تشكل في مجموعها الأمة الجزائرية؛
- عرفت الجزائر العديد من الإشكالات والعوائق ذات الطابع الثقافي والهوياتي بداية بالإشكال اللغوي ومشكل الاستغلال السياسي لمسائل الهوية الثقافية الجزائرية، إضافة للمشكل الاثني والجهوي؛

أما بالنسبة للإجابة عن السؤال الأخير الذي طرحناه في بداية البحث حول السبل الواجب إتباعها لتكريس رهان الوحدة الوطنية في إطار التنوع فإننا نقدم مجموعة إقتراحات أهمها:

- يجب العمل على تحييد عناصر الهوية الثقافية الجزائرية من الصراعات السياسية، وعدم ترك المشتركات الوطنية كأداة في خدمة الصراع السياسي؛
- العمل على ترقية اللغات الوطنية من خلال دعم الهيئات المحلية القائمة على تطوير هذه اللّغات وفي المقدمة منها، المجلس الأعلى للغة العربية والأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية؛
- دعم عناصر الهوية الثقافية الجزائرية وقيم التنوع الثقافي من خلال البرامج المدرسية والتعليمية لخلق جيل جديد واع بأهمية الاختلاف والتنوع الثقافي الكبير في الجزائر؛

- ترقية ودعم قيمة المواطنة كإطار جامع لعناصر الهوية الثقافية الجزائرية وقالب موحد لهذا التنوع الثقافي الزاخر الذي تعرفه الجزائر.

7. قائمة المراجع:

- علي رتناسي، التعديدية الثقافية مقدمة قصيرة جد، (مصر: مؤسسة هنداوي، 2013)، ص93.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص318.
- عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000سنة من الوجود، (الجزائر: دار المعرفة، 2008)، ص91.
- ناصر جابي، الحركات الأمازيغية في شمال افريقيا، (الجزائر: منشورات الشهاب، 2018)، ص98.
- محمدبن عبد العالي، عبد السلام سبيلا، الأيديولوجيا، (المغرب: توبقال لنشر والتوزيع، 2006)، ص61.
- زينب زموري، دور المؤسسات الثقافية في التنمية الثقافية، اطروحة دكتوراه، (الجزائر: جامعة محمد خيضر 2017) ص56،57.
- الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، اطروحة دكتوراه،(بسكرة: جامعة بسكرة، 2017) ص194.
- أحمد مولاي بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه كلية الادب واللغات والفنون، (وهران: جامعة وهران، 2018)، ص124.
- سارة غربي، التعديدية الثقافية وسياسة الهوية، اطروحة دكتوراه، (باتنة: جامعة باتنة، 2019)، ص41.
- علي عبد الله دريميح العتيبي، التعديدية الثقافية في إطار اسلامي، مذكرة ماجستير (السعودية: جامعة ام القرى، 2014) ص41.
- كمال بوقرة، المسالة الثقافية وعلاقتها بالمشكلات التنظيمية في المؤسسة الجزائرية، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، (باتنة: جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008)، ص205.
- سمية أوشن، دور المجتمع المدني في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي، مذكرة ماجيستر، (باتنة: جامعة باتنة 2010) ص142.
- سمير قط، البعد الأفريقي في سياسة الأمن والدفاع الوطني الجزائري، اطروحة دكتوراه، (بسكرة: جامعة محمد خيضر بسكرة، 2017)، ص33.
- الحواس بورمة، الازدواجية اللغوية في الجزائر. بجاية، مذكرة ماستر، (بجاية: جامعة عبد الرحمان ميرة، 2016)، ص26.

- سعاد بن قفة، حورية علي شريف، أزمة الهوية في المجتمع الجزائري في ظل التعديدية اللغوية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد02، 2017، ص83.
- غيات بوفلجة، دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية، مجلة تنمية الموارد البشرية،العدد11، 2015، ص358.
- كريمة بلعز، فلسفة التعايش ودورها في التنوع الثقافي، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد03، 2019، ص611.
- ام السعود براهيمي، قيم المواطنة و رهانات التعايش السلمي، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد03، 2020 ص146.
- الهاشمي لقوقي، سهيلة بن خيرة، منصور بن الزاهي، ابعاد الهوية الثقافية في الكتب المدرسية لتعليم الابتدائي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 07، العدد01، 2021، ص275.
- ثناء محمد هاشم، الهوية الثقافية والتعلم في المجتمع المصري، مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف، الجزء01، 2019 ص126،127.
- حسان حامي، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 09، العدد2017،29، ص57.
- جمال حواوسة، العولمة وازمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية العدد22، 2017، ص574.
- خيرة سحابة، الترجمة والتنوع الثقافي في الجزائر،ALTRALANG Journal ،المجلد 01، العدد01، 2019، ص129.

- سعاد بن قفة، حورية علي شريف، أزمة الهوية في المجتمع الجزائري في ظل التعديدية اللغوية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع،العدد02، 2017، ص83.

- عبد الوهاب غزال، وفاء بورحلي، تكريس التعديدية الاعلامية عبر تحقيق التنوع الثقافي في وسائل الاعلام، مجلة الباحث الإعلامي،العدد42، 2018، ص121.
- عبدالناصر بن بناجي، السياسات اللغوية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية في افريقيا، مجلة معالم ،المجلد 09 ،العدد12 ،2019، ص212.

- غيات بوفلجة، دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد11، 2015 ص358.

- فاتح حاجي، الجهوية في الجزائر الواقع والافاق، مجلة الاداب و العلوم الاجتماعية ،المجلد15، العدد26، 2018 ص119.

- فائزة تونسي، ادريس حران، علي بوخلخال، البرامج التلفزيونية وانعكاستها على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 33، 2018، ص68،69.
- زهيرة مزارة، ازمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، ملتقى القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة، 2017، جامعة خميس مليانة، الجزائر، ص7.
- عادل بن عايض المغذوي، دور المناهج التربوية في تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية لدى طلاب التعليم الثانوية في السعودية، الملتقى الدولي الرابع حول التربية الاسلامية، 2014، جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية، ص03.
- محمد ابن شماني، تطوير العربية و الأمازيغية سبيل إلى الوحدة والامن اللغويين، اليوم الدراسي الأمن الثقافي و اللّغوي والانسجام الجمعي، 2018، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص81.
- محمد داود، الهوية والتعدد اللغوي في الجزائر، اعمال اليوم الدراسي الأمن الثقافي و اللغوي والانسجام الجمعي، 2018 منشورات المجلس للاعلى للغة العربية، الجزائر، ص31.
- محمد العربي ولد خليفة *(2017)*، التنوع والتجانس الاجتماعي الثقافي في الجزائر الأمس واليوم، https://is.gd/5CGPKt *(09/04/2021)*.
- الدستور الجزائري،المادة04-03-02.